محاضرة 06

**الإيديولوجيا وجماعات الضغط**

08/05/2024

**أولا -الأيديولوجيا**

**01- تعريف الايديولوجيا**

استخدمت الأيديولوجية "Idéologie" كمفهوم باللغة الفرنسية، بعد ورود المصطلح في كتاب: مشروع مبادئ الأيديولوجية "Projet d’éléments d’idéologie"، للفرنسي دستوت دي تريسي "Destutt De Tracy"، الذي يعتبر مشروعه امتداد لأعمال الفيلسوف الإنجليزي "جون لوك"، والفيلسوف الفرنسي "إتيين دي كونديلاك"، وكان الهدف إنشاء علم أفكار يقوم على دراسة مدى صحة أو خطأ الأفكار التي يؤمن بها الناس، حتى تكون دعامة فلسفيّة للعلوم، ومرشد لمقومات التفكير السليم، وتُخلص الفرد والمجتمع من الأفكار التي قد تحول دون إظهار الحقيقة بشكلها الصحيح، وهذا ما قد عمل عليه أيضًا عدد من فلاسفة التنوير بفرنسا في أواخر القرن الثامن عشر، وعرفوا حينها بالأيديولوجيّين.

قصد تراسي بالأيديولوجية علم الأفكار، أو العلم الذي يدرس مدى صحة أو خطأ الأفكار التي يحملها الناس، وهذه الأفكار التي تُبنى منها النظريات والفرضيات، التي تتلاءم مع العمليات العقلية لأعضاء المجتمع، وقد انتشر استعمال هذا الاصطلاح بحيث أصبح لا يعني علم الأفكار فحسب، بل النظام الفكري والعاطفي الشامل الذي يُعبّر عن مواقف الأفراد من العالم والمجتمع والإنسان، وقد طُبق هذا الاصطلاح بصورة خاصة على المواقف السياسية، التي هي أساس العمل السياسي وأساس تنفيذه وشرعيته، والأيديولوجية السياسية هي الأيديولوجيا التي يلتزم بها ويتقيد بها رجال السياسة والمفكرون بشكل صارم، بحيث تؤثر على حديثهم وسلوكهم السياسي، وتحدد إطار علاقاتهم السياسية بالفئات الاجتماعية المختلفة.

عرف المفكر اليساري الإيطالي أنطونيو غرامشي [1891-1937م] الأيديولوجيا على أنها تضم مجموع البُنى الفوقية الثقافية، ويجمل فيها الحقوق والفن والدين وكذلك العلم، و وفي رسالة من أنجلز [1820-1895م] إلى فرانز مهرنغ (1893) ذهب إلى أن الأيديولوجيا عملية تجري في ذهن المفكرين الأدعياء بكيفية واعية فعلًا.

هناك ثلاثة مفاهيم أساسية تجسِّد المفاهيم الكبرى للأيديولوجيا، وهي على النحو التالي:

**أ- المفهوم السياسي:**

الأيديولوجيا السياسية يمكن النظرُ إليها من الجانب النفعي البراغماتي، باعتباره حاسمًا في هذا المقام؛ فالأيديولوجيا بالنسبة إلى المتكلِّم تهدف إلى إقناع الناس واستمالتهم من أجل كسب أنصار له ومؤيدين؛ وذلك لتحقيق الغلَبة في الميدان الاجتماعي، ومن هذا المنطلق ترتكز الأيديولوجيا السياسية على عناصرَ اجتماعيةٍ أهمُّها الطبقة أو الفئات الاجتماعية المنتمية إلى المجتمع، أو العالم على مستوى العقائد الكبرى كالإسلام أو الشيوعية أو العولمة، وقد تعتمد على أُطُرٍ تقليديَّة ما قبل عصر الأيديولوجيا؛ كالعشيرة، والعِرْق، والنَّسَب، أو على أشكالٍ عصرية حديثة؛ كالدولة، والحزب، والقومية، أو منظماتٍ دولية وإنسانية كالجمعيات المدَنيَّة ذات التوجه السياسي - الاجتماعي؛ مثل حقوق الإنسان، والناشطين السياسيين الممثلين لهيئات أو منظمات دولية.

ب**- المفهوم الكوني/ رؤية العالم.**

يتمثَّل المفهوم الكوني للأيديولوجيا بالنظرة التاريخية للعالَم، بعيدًا عن التعصب السياسي لحزب أو اتجاه، وهذا الارتقاء من الخاص إلى العام، ومن الجزئي إلى الكلي، ليس معناه الشمولي بالمفهوم الأيديولوجي الحزبي؛ وإنما بمفهوم الرؤية للعالم.

ومن هنا يتبيَّن الفارق بين المفهوم السياسي والكوني للأيديولوجيا، بوصف الرؤية للعالَم مجموعة من الطموحات والأحاسيس والأفكار التي تجمع بين أعضاء جماعةٍ ما، غالبًا ما تنتمي إلى النخبة المثقفة، التي تتجرد من أية نزعة حزبية أو نفعية، وتعترف بالأيديولوجيات الأخرى وما فيها من مزايا.

**ج- المفهوم المعرفي**

تستعمل الأيديولوجيا في معرفة الظواهر الجزئية والكليَّة في مجال نظرية المعرفة ونظرية الكائن، التي تتضمَّن أحكامًا حول الحقِّ والخير والجمال، وغايتُها إظهار كينونة الإنسان المادية والمعنوية في إطار النظرية الجدليَّة.

 ثمة علاقةً وثيقة ومتداخلة بين المفاهيم الثلاثة للأيديولوجيا؛ فالمفهوم السياسيُّ للأيديولوجيا يتجسَّد حين تدخل مع الأيديولوجيات الأخرى في حوار أو جدل، ويظهر التعصُّب والدفاع لدى كلِّ فرد ينتمي إلى حزب أو تيار، أما عندما يقف من الأيديولوجيات جميعها في المسافة نفسِها، ويتأمل في موقعها، ويكشف عن نقائصها وعيوبها، ثم يُبيِّن مزاياها، فتكون رؤيته كونية للعالَم، وحينما يلجأ المرءُ إلى الأيديولوجيا كرؤية للعالَم يستطيع من خلالها معرفة ظاهرةٍ آنية أو جزئية يكون قد نظر إليها نظرة كونية عبر قانون الجدل في مجال النظرية، وقد أصبحت أكثرَ مرونة بدعوى أن في وُسعِها إخراجَنا من مأزق الطبقة والأحزاب الضيِّقة

02- ت**طور الأيدلوجية عبر المفكرين الغربيين:**

**- نيكولا ميكافيلي :1469- 1527**

رأى مكيافيلي أن لديه حلما أن يرى إيطاليا الحديثة جمهورية مثل تلك التي كانت في روما القديمة، واعتبر ميكافيلي أن رؤيته لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال ثورة لديها قوة الإرادة لتصفية أعدائها.

**- جورج فريدريش هيغل 1770- 1831**

اعتبر الفيلسوف الألماني "جورج هيغل" الذي ينتمي للمدرسة المثالية، أن الأفراد أدوات للتاريخ، ولا يوجهون من أي سلطة متعالية، بل أن التاريخ من صنع الأفراد، أو على الأقل يشاركون فيه؛ فنشاطهم الكامل هو العملية التاريخية.

**- كارل ماركس 1818- 1883**

استخدم "كارل ماركس" مصطلح أيديولوجية، في كتاب "الأيدلوجية الألمانية" الذي كتبه مع "فريدرك إنجلز"، حيث رأى الأيدلوجية هي الأفكار السائدة عند الطبقة الحاكمة، أي أنها الطبقة التي تمتلك القوة المادية الحاكمة للمجتمع، وكذلك القوة الفكرية، فهذه الطبقة تمتلك وسائل الإنتاج المادي، وتسيطر على عقول الخاضعين لها فكريًا.

انتقد ماركس، فلسفة التنوير (النهضة) في القرن الثامن عشر، التي انطلقت من نقد تعاليم الكنيسة، وأراد ماركس إثبات رؤيته بنقد فلاسفته المعاصرين، الذين رأى أنهم قد ورثوا أوهام القرن الثامن عشر، متسائلًا عن مبرر لتأكيد أن أفكار عصر التنوير تعكس الحقيقة المطلقة، وأن الأخرين لديهم أوهام بحب السيطرة والتقليد والتربية الفاسدة، فقد كشفت الثورة الفرنسية تناقضات، وفلاسفة التنوير وأتباعهم يلغون التاريخ الواقعي، وبإلغائهم للتاريخ يملئون أذهانهم بالأوهام، ويُعرضون عن معرفة الواقع؛ وبالتالي فكرهم غير علمي.

كما يرى ماركس، أن تعزيز مبدأ الفردية الذي تبناه فلاسفة التنوير رسخ الرأسمالية، وجاءت آراء الفلاسفة تبريرية كمحاولة للحفاظ على مصالح الطبقة البرجوازية، وبالتالي الأيديولوجية هي قناع طبقي يُستخدم لتبرير استغلال الطبقة العاملة.

أما في القرن العشرين، فكان الماركسيون راضين عن الحديث عن الماركسية باعتبارها أيديولوجية، وفي بعض البلدان الشيوعية، أنشأت "معاهد أيديولوجية"، وكان الفلاسفة الحزبيون يتحدثون عادة عن أيديولوجية الأحزاب الماركسية.

**- كارل مانهايم 1893- 1947**

حاول "كارل مانهايم"، بناء نموذج للأيدلوجية غير النموذج الماركسي، وإن اتفق مع ماركس بأن الأفكار تُشكل من الظروف الاجتماعية، لكنه رأى في كتابه "الأيديولوجية واليوتوبيا"، الأيدلوجية كأنساق فكرية تدافع عن نظام اجتماعي معين، وتعبر عن مصالح المجموعة الحاكمة المسيطرة، **وذلك من خلال مستويين:**

**الأول:** المستوى التقويمي، الذي يتعامل مع الأيديولوجية على أساس أنها تتضمن أحكامًا لها صلة بواقع الأفكار، وبناء الوعي، وحذر مانهايم من التشوه الأيديولوجي والوعي الزائف.

**الثاني:** المستوى الدينامي، ويتناول الأيديولوجية من خلال سمتها الديناميكية، على أساس أن هذه الأحكام دائمًا ما تُقاس من طريق الواقع.

واعتبر مانهايم اليوتوبيا، نوع من التفكير يتمحور حول المستقبل واستحضاره بكيفية مستمرة، أما الأيدلوجية بأنها التفكير الذي يهدف إلى استمرار الحاضر ونفي بذور التغيير الموجودة فيه.

وفرّق مانهايم بين نمطين من الأيديولوجية، **هما:**

**الأيديولوجية الخاصة**: التي تتعلق بمفهوم الأفراد، وتبريراتهم للمواقف التي تهدد مصالحهم الخاصة.

**الأيديولوجية الكلية:** وهي المتعلقة بالتفكير السائد داخل الطبقة أو الحقبة التاريخية، كما هو الحال لنمط التفكير السائد لدى البرجوازية أو الطبقة العاملة.

 وفي ضوء هذه الأفكار عرّف مانهايم الأيديولوجية بوصفها "مجموعة قيم أساسية ونماذج للمعرفة والإدراك، ترتبط ببعضها وتنشأ صلات بينها وبين القوى الاجتماعية والاقتصادية".

كما قسم الأيدلوجية على أساس الحكم**، إلى:**

**أيديولوجية الجماعات الحاكمة:** التي تريد فرض تصوراتها وأفكارها على بقية أفراد المجتمع، وتبرير الأوضاع الراهنة والدفاع عنها.

**أيديولوجية الجماعات الخاضعة**: تحاول تغيير هذه الأوضاع لصالحها وإحداث تغيرات في بناء القوة القائم، بما في ذلك تحقيق العدالة الاجتماعية وتوزيع الدخول توزيعاً عادلًا.

**- فريدريش نيتشه 1844- 1900**

اعتبر الفيلسوف الألماني "فريدريش نيتشه" الأيديولوجية أنها أوهام وحيل يُعاكس بها الإنسان قانونَ الحياة، فيُنظر إلى الأيديولوجية بوصفها ظاهرة عامة تفصل عالم الجماد عن عالم الأحياء؛ وذلك باعتبار أن العقل عاجز عن خلق أي قيمة إذا لم يرتبط بالحياة، فمن يعادي الحياة، يلجأ إلى قيم وهمية، ويرى نيتشه أن كل ما أنتجه الإنسان من معارف وحقائق عبارة عن أوهام نسي أنها كذلك؛ لأنها لا تنتج بفعل سوء استخدام العقل؛ بل إنها ناتجة عن رغبة لا شعورية في حفظ البقاء، فكثيرًا ما تُقدم الأوهام نفسها على أنها حقائق.

وتصور نيتشه في كتابه "جينيالوجيا الأخلاق" أن الأوهام تصدر **عند:**

- عجز العقل إذا لم يرتبط بالحياة، ولا يُستخدَم العقل لاكتشاف الحقيقة بقدر ما يوظف للإخفاء، خاصة حين يكون في الكشف عن الحقيقة خطرٌ يهدد حياة الإنسان؛ لذا يلجأ العقل إلى الوهم ويغلفهما بقالب منطقي يخفي الوظيفة الأساسية على مستوى الصراع الاجتماعي الذي يقتضي أن تنتج فئة الضعفاء سلسلة من المعارف التي تشوه الأوهام.

- البحث عن اشتقاق الكلمات المستعملة في القاموس الأخلاقي، ستكتشف أن الصالح يعني في مبادئ اللغات القويَّ النبيل، وأن الفاسد يعني الضعيفَ، فالوعي بالعالم الخارجي وبالذات يُعبَّر عنه عبر الخطاب، ولا يكون الخطاب مطابقًا للواقع نظرًا لأن اللغة عبارة عن تشبيهات وضعها الفكر، ولا تكون وسيلة للكشف؛ بل هي فقط وسيلة يستعملها المستضعفون من الناس للتعبير عن القيم والعقائد الوهمية التي يحتمون بها من اعتداء الأقوياء.

ولذلك تعاطى نيتشه مع مفهوم الأيديولوجية، خلافًا لما ذهبت إليه الماركسية، وذهب إلى أن الحياة المادية هي التي تحدد الوعي وليس العكس، فالأيديولوجية في نظره تقلب الواقع ولا تقدم صورة حقيقية عنه، والاشتراكية، في نظر نيتشه ما هي إلا صورة أخرى من صور الضعفاء.

**- سيغموند فرويد 1856-1939**

يرى مؤسس علم التحليل النفسي "سيغموند فرويد"، أن التاريخ الحضاري أو الواعي للإنسان قصير جدًّا، وإنتاج العقل لتبريرات خلقها الإنسان المتمدن يستند إلى طبيعة الإنسان الحيوانية، والدوافع النفسية للرغبة المكبوتة وراء الوعي على مستوى الأفراد والمجتمعات.

ويلعب الماضي في التحليل النفسي دورًا أساسيًّا؛ ليس لأنه يخلق الحاضر فحسب؛ بل لأنه مصدر لمحتويات الوعي والشعور، وكل ما يبدو لنا صغيرًا وتافهًا، قد يكون له دور كبير في بناء بنية اللاوعي واللاشعور؛ بل قد يكون له دور فعال في العلاج النفسي، وكل فرد يشارك في مجموعات متعددة (الجنس، الطبقة، الدين، العمل، وغيرها) يتأثر بها، كما يتأثر بشكل كبير بالحشد الذي ينتمي إليه.

 وعندما يكون الفرد في حشد فإن نفسه تكون مسرحًا **لعمليتين**:

**الأول:** التماهي مع الآخرين؛ لأن الكل قلق بالقدر نفسه، وينتج عن التماهي الشعورُ بالقوة.

**الثاني:** تشخيص الأنا-الأعلى في القائد، وينتج عن هذه العملية رضوخ إرادي وتخلٍ عن قيود العقل وإطراح أعباء المسؤولية.

**ثانيا-جماعات الضغط**

**01- تعريف جماعات الضغط**

جماعة الضغط  pressure groupهي مجموعة منظمة، وعادة ما تُنظّم هذه الرابطة رسميّاً من الأشخاص أو المنظمات الذين يتشاركون في المصالح والاهتمامات، والذين يحاولون التأثير في الحكومات وفي وجهات نظر الأشخاص، لإقناع السلطات المعنية بإحداث تغيير ما في السياسة العامة، وذلك بهدف كسب منافع لأنفسهم أو لقضاياهم التي يتبنونها، كتغيير القوانين، وتسعى جماعات الضغط –كما تشير التسمية-إلى تحقيق أهدافها عن طريق الحشد والضغط lobbying - على الجهات المعنية بصنع القرار. كما أن نشوء جماعات الضغط هو نتيجة حتمية لتشارك الجماعات الاهتمامات والمصالح في المجتمع، لذا يُستخدم مصطلح جماعة المصالح- Interest Group وجماعة الضغط بالتبادل في كثير من الأحيان، ومن الجدير بالذكر أن معظم جماعات المصالح لا يتم تشكيلها لأغراض سياسية، حيث عادةً ما يتم تأسيسها وتوظيفها لتعزيز المصالح المهنية أو التجارية أو الاجتماعية أو المهنية لأعضائها عن طريق الترويج لبرامجها ونشر المعلومات المتعلقة بذلك، وبالتالي فإن أغلب هذه الأنشطة غير سياسية، إلا أنها تفرض على الجماعة في بعض الأحيان الدخول إلى الساحة السياسية عندما يكون هذا المسار حتمياً ولا بديل عنه لحماية مصالحها أو عند الحاجة للحصول على تمويل حكومي، حيث إنه لا يمكن بطبيعة الحال الفصل بين السياسة والمصالح.

وقد تنتهج الجماعة سياسة موجهة لمنفعة أعضاء المجموعة أو شريحة محددة من المجتمع، مثل سياسات الإعانات الحكومية المقدمة للمزارعين، وقد تتبنى أهدافاً ذات مدىً أوسع مثل تحسين جودة الهواء، كما تختلف هذه الجماعات في نطاقها وأحجامها. وتوجد مجموعات المصالح على جميع مستويات الحكومة، الدولة، الولايات، وكذلك المستوى القومي، والمحلي.  وهناك جماعات نشطة بشكل دائم وأخرى مؤقتة تقدم مقترحات لصانع القرار ثم تختفي بمجرد استجابة النظام لهذه المقترحات، وقد تتشابه مجموعات الضغط في طبيعة الأهداف التي تسعى إليها لكنها تختلف بشكل كبير في طبيعة تكوينها واستراتيجيات الضغط التي تتبعها داخل الأنظمة السياسية وعبرها، ويغلب على جماعات الضغط الناجحة أن تكون جيدة التمويل ومتماسكة ومستقرة، كما يميل زعماؤها، الذين يكونون في كثير من الأحيان من السياسيين السابقين، إلى تبني قضايا تحظى باهتمام شريحة واسعة من السياسيين والموظفين المدنيين.

تسعى جماعات الضغط إلى التأثير في قرارات السلطة من خارجها، وليس للوصول إلى السلطة أو السيطرة على المراكز الرسمية فيها، على عكس الأحزاب السياسية. وقد ظهر دور هذه الجماعات جلياً في الحياة السياسية العامة وفي الشؤون الدولية في العديد من الدول حول العالم –كالولايات المتحدة الأمريكية- عن طريق ظاهرة "اللّوبي"؛ وهي جماعة تستهدف مصادر اتخاذ القرار في الدولة للتأثير في هذه القرارات والتي عادةً ما تصدر عن السلطتين التشريعية والتنفيذية والتي تحدد صلاحياتهما وفقاً للدستور،  وفي بعض الأحيان تعمل هذه الجماعات بمثابة جهاز رقابي على المؤسسات الحكومية، وأحيانا ما يصاحب تقارب جماعات الضغط أو اللوبيات مع السياسيين والبيروقراطيين ظهور اتهامات بالتضارب في المصالح نتيجة لذلك.

هناك عوامل مختلفة تلعب دوراً مهماً في تشكيل البيئة التي تمارس فيها مجموعات المصالح نشاطاتها، والتي تخلق أوجه التشابه والاختلاف في أنواع أنظمة مجموعات المصالح حول العالم. ومن أهم هذه العوامل مستوى التطور الاجتماعي والاقتصادي socio-economic development- داخل المجتمع، والذي يحدد مدى تمثيل وتقديم المصالح داخله. حيث عادةً ما يكون عدد جماعات المصالح والأشخاص المنتمين إليها أكبر بشكل ملحوظ في المجتمعات الأكثر ازدهارًا اقتصاديًا، أما في البلدان الأقل ثراءً، يكون فيها عدد جماعات المصالح أقل وذات إمكانية أقل للتطور. كما يكون الضغط أكثر رسمية وأكبر تأثيراً في الديمقراطيات، مقارنةً مع نظيره في الدول الاستبدادية والنامية، حيث يكون غير رسمي إلى حد كبير، مع محدودية الوصول إلى الحكومة.

**02- خصائص جماعات الضغط**

إنّ جماعة الضغط هي أي جماعة منظّمة، تحاول التأثير على السياسات والقرارات الحكومية، من دون محاولتها السيطرة على المراكز الرسمية للدولة، وممارسة أساليب القوة الرسمية من خلالها"، ومهما تبدّلت الأسماء وتعددت، ففي النهاية يجب أن تضم هذه الجماعة العناصر الثلاثة:

**أ- الجماعة المنظمة**

إنّ عنصر التنظيم ضروري جدًا لوجود الجماعة الضاغطة. فالتجمّع ليس مجرد مجموعة أشخاص يتكوّن منهم، إنّه كيان مستقل قائم بذاته ويؤثّر على تصرّفات الأفراد الذين يتشكّل منهم. ويعرَّف بكونه مجموعة تربط بينهم علاقات أكثر مما تربطهم بالآخرين، وهذه العلاقات ليست علاقات شخصية، فهي تُنشئ بين الأعضاء روابط من نمط آخر يعبّر عنها بالمصلحة المشتركة: مادية، إيديولوجية، إثنية، أو مهنية. وقد تتعلّق طبيعة الروابط ومستوى التفاعل بتحديد الجماعة. فتقوم الجماعة على مستوى عالٍ من التفاعل وهذا يعني التنظيم القوي والروابط المتينة الواعية لذاتها مثل الاتحاد القومي للأسلحة(NRA)، والاتحاد القومي للوسطاء العقاريين(NAR)  في الولايات المتحدة الأميركية.

**ب- الدفاع عن المصالح**

مع أنّ تعبير الجماعة الضاغطة نشأ في الولايات المتحدة الأميركية، إلّا أنّ المؤلفين الأميركيين يفضّلون استخدام تعبير جماعة المصالح. وهذه الأخيرة لا تتحوّل برأيهم إلى جماعة مصلحة سياسية-اقتصادية أو جماعة ضاغطة، إلّا إذا حاولت التأثير على قرارات السلطة العامة.

إنّ مصطلح "مصالح" لا يدل على المصلحة المادية فقط، إنّما يشمل أيضًا المصلحة المعنوية. وقد ذكر Jean MEYNAUD في كتابه "جماعات الضغط"، أنّه بالإمكان تقسيم الجماعات إلى فئتين: الأولى تهدف إلى تحقيق مكاسب لأعضائها أو للحفاظ على المكتسبات وهي تنظيمات مهنية، والثانية تجعل من سبب وجودها الدفاع عن مواقف روحية وخلقية، أو عن قضايا محقّة. وهي تجمّعات ذات غايات إيديولوجية وهو يعترف أنّ هذه الفئة هي مبهمة ولكنّها مرنة. وهذا ما دفعه للتمييز بين جماعات المصالح وجماعات الأفكار.

**ج- ممارسة الضغط**

عملية الضغط والتأثير تميّز جماعة المصلحة من جماعة الضغط. فجماعة المصلحة هي كل جماعة تسعى لتنظيم مصالحها والدفاع عنها، مادية كانت هذه المصالح أو معنوية. وتتحوّل جماعة المصلحة إلى جماعة ضغط، عندما تحاول أن تضغط على الجهاز الحكومي دافعة به إلى اتخاذ قرارات تحقّق مصالحها أو تسهّل تحقيقها، يتم هذا التحوّل ابتداءً من اللحظة التي يحاول فيها المسؤولون عن الجماعة التأثير على الحكومة. إنّ أي نقابة تتصرّف كجماعة مصلحة، إذا عملت بوسائلها الخاصة على تنظيم المهنة، وضبط القواعد المهنية للمنتسبين إليها. لكنّها تصبح جماعة ضاغطة إذا حاولت الضغط والتأثير على السلطة الحاكمة للحصول على نص ينظّم دخول الأعضاء الجدد إلى النقابة، وهذا يعني أنّ فئة "جماعات ضغط" تغطّي قطاعًا من نشاط جماعات المصلحة أي أنّها تعالج هذه الفئة تحت مظهر معين، وهو ممارستها الضغط من أجل تحقيق مطالبها.

**03-أنواع جماعات الضغط**

تختلف أنواع جماعات الضغط باختلاف أهدافها ومصالحها، وقد تحتوي الأنظمة السياسية على اختلاف أنواعها على توليفات مختلفة ونطاقات متفاوتة من مجموعات المصالح. ففي الدول الديموقراطية يتم تمثيل كل نوع من أنواع المصالح الخمسة بأعداد كبيرة ذات استراتيجيات وتكتيكات معقدة. أما في البلدان النامية وفي الدول ذات الأنظمة الاستبدادية، فنطاق جماعات الضغط يكون أضيق بكثير، حيث تكون المصالح غير الرسمية عمومًا هي الأكبر أهمية والأكثر عددًا. وفيما يأتي أبرز أنواع هذه المجموعات تبعا للمصلحة الخاصة بها:

أ-  الجماعات الاقتصادية: وهي النوع الأكثر انتشاراً، حيث تمتلئ العواصم حول العالم بالآلاف منها، ومن الأمثلة عليها: مجموعات الأعمال، على سبيل المثال، الاتحاد الكندي للأعمال المستقلة، اتحاد الصناعة البريطاني، وشركة نستله-Nestlé ومقرها في سويسرا كذلك مجموعات العمل على سبيل المثال، مجموعة IG Metall في ألمانيا، ومجلس نقابات العمال في المملكة المتحدة.

ب- جماعات القضايا: وهي جماعات واسعة النطاق، لا تهدف هذه الجماعات لحماية مصالح اقتصادية بالأساس، بل تركز على الترويج إلى قضية أو قيمة معينة. من الأمثلة عليها الكنائس والمنظمات الدينية ككنيسة العمل الكاثوليكي في إيطاليا، ومجموعات المحاربين القُدامى مثل الاتحاد الفرنسي لرابطات المقاتلين وضحايا الحرب، والمجموعات التي تدعم حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة، على سبيل المثال المنظمة الوطنية الإسبانية للمكفوفين (ONCE) ومنظمة علاج التوحد- Cure Autism Nowفي الولايات المتحدة.

ج- جماعات المصالح العامة: تتبنى جماعة المصلحة العامة القضايا ذات الاهتمام العام مثل: حماية البيئة، وحقوق الإنسان، وحقوق المستهلك. وقد توجد في بلد واحد مثل الاتحاد الفيدرالي لجماعات العمل من أجل حماية البيئة في ألمانيا، أو قد تمتد أفرعها في بلدانٍ عدة.

د- جماعات المصالح المؤسسية الخاصة والعامة: تشمل المصالح المؤسسية الخاصة وسائل الإعلام الإخبارية المختلفة، وخاصة الصحف، وكذلك الجامعات الخاصة، فضلاً عن مؤسسات الفكر والرأي ومراكز البحوث وخلايا التفكير- Think Tanks، مثل معهد بروكينغز- the Brookings في الولايات المتحدة ومعهد آدم سميث- the Adam Smith في المملكة المتحدة. ومن أكبر الأمثلة على المصالح المؤسسية العامة هي الحكومة بمستوياتها المتعددة. من الأمثلة على جماعات المستوى الوطني الوكالات الحكومية مثل الإدارة البريطانية للبيئة، والغذاء والشؤون الريفية، التي تقوم بممارسة الضغط لتأمين التمويل أو لتحديد أولويات قضايا معينة؛ أما على المستوى الإقليمي فقد تقوم الجامعات العامة بالضغط على الحكومة لغايات التمويل أو التشريع، وعلى المستوى الدولي، قد تضغط الأمم المتحدة على أعضائها لدفع مساهماتهم في المنظمة أو لتنفيذ قرارات مجلس الأمن، وبشكل عام تحظى المصالح المؤسسية الحكومية غالباً بأهمية أكبر في الأنظمة الاستبدادية، بينما يتم تقييد أو حظر جماعات المصالح الخاصة بشدة.

هـ- جماعات المصلحة غير الترابطية: هي الجماعات التي يكون أساسها رباط جغرافي أو وظيفي أو ديني أو فكري أو مهني

04- **مقوّمات القوة عند الجماعات**

تستند قوة جماعات الضغط إلى عدّة عوامل نذكرها فيما يأتي:

**أ- مقوّم العــدد**

يؤدي العدد دورًا كبيرًا في تحسين صورة الجماعة اجتماعيًا، ويساعد في إحداث التأثير على السلطات وعلى الرأي العام، ويشكّل أيضًا موردًا ماديًا مهمًا وأساسيًا بالنسبة لبعض الجماعات. إلّا أنّه ليس عنصرًا ثابتًا، فهو معرّض دائمًا للاستبدال والتغيّر.

**ب- مقوّم الطاقة المالية**

قد يؤمّن العدد الكبير من المنتسبين موردًا ماليًا مهمًا للجماعات كما ذكرنا، إذا ما دفعت الاشتراكات جميعها، وأحيانا لا يتناسب تضخّم العدد مع المردود المالي، ويضاف إلى الاشتراكات المساعدات التي يقدّمها المنتسبون طوعًا والدفعات الاستثنائية التي تُطلب منهم بمناسبات معينة، كما قد تساعد الدولة بطريقة مباشرة بعض الجماعات من خلال دفع إعانات من الموارد العامة، كالجماعات التي تهتم بشؤون عامة مثل التعليم، أو من خلال منحها تسهيلات مادية (إعفاء جزئي من الضرائب) أو اقتطاع مبالغ من الموارد المخصصة كمساعدات للقطاع الذي تعمل في إطاره الجماعة، وتكمن في هذا العمل مفارقة كبرى، ذلك أنّ الدولة تساعد أحيانًا بعض الجمعيات التي تمارس الضغط عليها.

**ج- مقوّم التنظيم**

إنّ التنظيم يرتبط بقوّة الجماعات وحجمها وطبيعتها، وهو يشير بالتحديد إلى عقلنة العمل الجماعي وتأمين استمراريته وتوجيهه في الاتجاهات المناسبة، وتصويبه في بعض الأحيان، كما يساعد على الاستفادة بشكل كامل من الموارد المتوافرة آخذًا بعين الاعتبار ما يمكن الحصول عليه، ويقرّر الوسائل والتكتيك الذي يجب اعتماده نسبة للموارد والأهداف، ويرتبط التنظيم بصفة القيادة واتساع شبكة العلاقات التي يقيمها هؤلاء.

هناك أمران يضطلعان بدور مهم في تنظيم جماعات الضغط: صفة القادة؛ واتساع شبكة العلاقات التي يتوصّلون إلى إنشائها في قلب الأوساط البرلمانية، والمكاتب الوزارية، وأجهزة تكوين الرأي العام، ومن هذه الزاوية فإنّ الجماعات الغنية تستفيد من تسهيلات خاصة.

**د- مقوّم النظام الاجتماعي**

يشير هذا المقوّم إلى السمعة التي تتمتّع بها الجماعة في أوساط الجمهور، والتي هي انعكاس لصورة المجموعة في ذهن هذا الجمهور، وصورة الجماعة تعني الإيحاءات الأولى وهذا يعني المركز الاجتماعي - السياسي للمجموعة، فبعض المجموعات يمكن أن تستغل صورتها الحسنة تجاه الرأي العام أو دوائر السلطة، والبعض الآخر يجب أن يعمل للتعويض عن الأثر السيّئ لصورته، والسمعة ليست معطى ثابتًا إنّها لا تُكتَسَب لمرة واحدة وبشكل نهائي فهي تتغيّر وتتطوّر، بطريقة لا شعورية، ولكنّها فعالة في النهاية.

**هـ- مقوّم الروح القتالية**

تعتبر هذه الميزة مهمة جدًا لأنّها هي التي تدفع الأفراد والجماعات للالتزام والعمل والنضال، وغياب هذه الروح يؤدي إلى انهيار المجموعة لأنّ الإرادة والمعنويات تجعل الجماعة تستغل طاقاتها، وحتى إذا كانت ضعيفة ومحدودة، إلى أقصى الحدود، وتقاس قتالية الجماعات بقدرتها على مقاومة الضغوطات والمواقف الصعبة، وفي متابعة العمل الذي بدأته وبخاصة بعد فشل أوّلي.

**05- وسائل جماعات الضغط**

**أ‌- وسيلة الإقناع**

تعتبر هذه الطريقة الفضلى بالنسبة للجماعات التي تسعى لأن تكون صورتها جيدة ومحترمة، لأنّها تقوم على عرض البراهين العقلية، وتقديم النصائح والاقتراحات والمعلومات حول مواضيع معينة، وتعتبر وسائل الاتصالات المباشرة من أفضل وسائل الإقناع، وتتّصل جماعات الضغط بالجهات الرسمية وغير الرسمية بطرق مختلفة منها:

-   الاتصال بالوسائل المباشرة.

-   الاتصال عن طريق الصحف التي تؤثّر عليها هذه الجماعات، أو التي تملكها بشكل غير رسمي، والتأثير على وسائل الإعلام الأخرى التي تمتلكها شركات خاصة وتخضع للإغراءات المادية عادةً، وهذا يقودنا إلى الحديث عن تكتيكات تحقيق الأهداف لدى جماعات الضغط، والذي بدوره يرتبط بمدى فاعلية الجماعة التي ترتبط بشكلٍ أو بآخر بإمكاناتها المادية.

تعمل جماعات الضغط على التأثير بوسائل مختلفة على سياسة الدولة، من بينها السياسة الخارجية، فقد تتّصل اتصالًا شخصيًا عن طريق رؤسائها بالمسؤولين لتنفيذ آرائها والدفاع عن مصالحها، وقد تتّصل عن طريق الرسائل الخاصة مهدّدة أو واعدة أو مغرية.

تلجأ الجماعات لإعداد الوثائق وتقديمها بكل اعتناء وترتيب وبأسلوب منطقي هادئ يرتكز إلى الموضوعية، وقد تساعد مثل هذه الوثائق في التأثير على المسؤولين عن القرار، الذين لا يكون بحوزتهم في حالات كثيرة سوى هذه الوثائق للاطلاع عليها بموضوع خلاف ما مثل النواب، وتقوم عملية الإقناع على الاتصال المباشر بالأفراد المسؤولين الذين يقضون قسمًا كبيرًا من وقتهم للاستماع إلى مطالب أصحاب المصالح.

تُعتمد وسيلة الإقناع أيضًا للتأثير على الرأي العام ولكن بأشكال أخرى غير الاتصال الفردي المباشر، حيث تُستعمل وسائل الإعلام التقليدية والحديثة وأساليب الدعاية، التي تمكّن الجماعات من النفاذ إلى نفوس الناس والتأثير على تصرّفهم، وذلك لما للإعلام من أهمية في حياة الإنسان المعاصر من جهة الاستقطاب والتأثير والفاعلية. وهي تحاول من خلال إقناع الرأي العام أن تقنع السلطات بعدالة قضاياها.

**ب‌-  وسيلة التهديد**

تستعمل هذه الوسيلة في حال فشل وسيلة الاقناع وعدم تجاوب السلطات مع الجماعات، ويأخذ التهديد مظاهر مختلفة، فبالنسبة إلى البرلمانيين، فإنّ التهديد يتم بالإعلان عن الرغبة بعدم انتخابهم من جديد، وتعمل بعض الجماعات على تحريض أعضائها على مقاطعة هؤلاء والقيام بحملات دعائية محلّية ضدهم، وتلجأ أحيانًا لتنظيم حملات تتضمّن إرسال رسائل واتصالات هاتفية، وجمع تواقيع، وتنظيم مظاهرات، واعتلاء المنابر في بعض الحالات لتمرير الخطاب المناوئ، ويمكن للجماعات التهديد بإسقاط الحكومة إذا كانت تستطيع تأمين عدد من النواب المنتسبين إليها أو الداعمين لقضيتها، وبتحريك الشارع ضمن مظاهرات حاشدة ومتكرّرة أو تنظيم إضرابات لها أثر كبير على سير الإدارات التي تؤمّن الخدمات العامة، ما يحثّ الرأي العام على اتخاذ موقف سلبي من الحكومة.

يلقى الموظفون الكبار نصيبهم من التهديد الذي يطال سير مهنتهم أو تدرّجهم أو مناقلاتهم. لكن فعاليته تبقى مرهونة بالحصانات التي يتمتّع بها الموظفون، وقدرة الجماعات على تأليب الجهات السياسية المسؤولة تراتبيًا عن هؤلاء الموظفين، وقد يذهب أصحاب المصالح أحيانًا إلى حد التهديد بفضح بعض نواحي الحياة الخاصة للمسؤولين الذين يهمّهم التأثير عليهم.

**ج‌-   وسيلة المـال**

إنّ المال هو عنصر من عناصر القوة لدى الجماعات. فالموارد المادية تتيح للجماعات إمكانيات هائلة لتقوية وسائل عملها العادية وإتقانها: إعلام ودعاية، ويستعمل المال لشراء الهدايا لبعض المسؤولين أو تقديم خدمات عينية كالرحلات السياحية. وهذا ما يجعل الأشخاص المستفيدين يشعرون وكأنّهم مدينون لمن أغدق عليهم النعم، أو على الأقل ملزمون معنويًا بالاعتراف بالجميل.

يستعمل المال على مستويين: جماعي وفردي؛

يتعلّق الأوّل بتمويل الأحزاب السياسية وبخاصة في أثناء الحملات الانتخابية، أمّا الوجه الثاني لاستعمال المال فهو على الصعيد الفردي، ويأخذ شكل الرشوة المباشرة أو غير المباشرة عن طريق تقديم الهدايا وغيرها، في حال الرشوة يكون المقابل دعمًا واضحًا من قبل المرتشي دون قيد أو شرط.

**د- وسيلة عرقلة العمل الحكومي**

قد تذهب عملية العرقلة إلى أقصى الحدود باعتماد المظاهرات والإضرابات، والتي لا يفصح منظّموها عادة عن نيّتهم بهذه العرقلة متسلّحين بمفهوم حرية التعبير والتظاهر. وتعتبر هذه الوسيلة فعّالة جدًا، لأنّ السلطات لا يمكن أن تبقى مكتوفة الأيدي أو لا مبالية تجاه حركةٍ تجمّد أو تعيق تحقيق خدمة عامة من الخدمات الحيوية: المواصلات، الكهرباء... وقد توسّع مفهوم الإضراب ولم يعد مقتصرًا على علاقات العمل وحدها، لكنّه يستعمل في كل القطاعات: المعلّمون، الطلاب، التجار والمزارعون، سائقو الشاحنات، أهالي التلامذة... إلخ.

في كثير من الأحوال يكون جمهور المواطنين هو الضحية، فالسلطة تجد نفسها مجبرة على الخضوع كي تجنّب المواطنين تضحيات كبيرة، وقد تتطوّر الأمور سلبيًا في بعض الأحيان، فتؤدي إلى اصطدامات مع قوى الأمن، وفي أسوأ الحالات مع الجيش إذا أصرّ المضربون والمتظاهرون على تشويش الحياة الوطنية في كل البلاد، وقد يُستعمل التظاهر أو الإضراب كتدبير تحذيري في إطار امتحان قوّة، تمهيدًا للبدء بمفاوضات توصل الأطراف إلى تسوية مقبولة من الجميع.